رئاسة المنظمة الصهيونية الموجودة في المانيا، آنذاك، في التقرب الى النظام الحاكم؛ واستمرت في بذل المحاولات لاستصدار وعد بلفوري الماني. ولكن هذه الجهود لم تثمر، بسبب علاقة المانيا الخاصة بالدولة العثمانية، ورفض الخليفة العثماني الموافقة على المشروع الصهيوني، حتى ولو تمّ في اطار المشروع الاستعماري الالماني. ومع هذا، أصدرت الحكومة الالمانية، بعد اصدار وعد بلفور، تصريحاً مبهماً يشبه وعد بلفور من بعض الوجوه، بمساعدة المشروع الصهيوني، على أمل ان تجنّد يهود العالم لصالحها، وتكسبهم الى صفها. ولكن أُصدر هذا التصريح في وقت متأخر؛ ولم يؤد، في النهاية، الى شيء يذكر. وكل ما يهمنا، في هذا السياق، هو ان رؤية اليهود كجزء من المشروع الاستعماري الالماني هو، في جوهره، تهميش لهم، من منظور المشروع القومي الالماني؛ وهو يعطيهم حقوقاً للاستيطان في فلسطين، ويمنحهم حق ان ترعاهم الحكومة الالمانية «خارج» المانيا، الامر الذي يتضمن انكار حقوقهم «داخلها». فالاستعمار الاستيطاني كان الاطار الذي يتم من خلاله تصديرالفائض البشري، غير المرغوب فيه، الى الشرق. والقيادة الصهيونية، بقبولها هذا الاطار، قد قبلت التعريف الضمني الكامن لليهود، كعنصر غريب غير منتمٍ، يجب ان يتم تصديره من طريق التهجير، وهو، على كل، التعريف الصهيوني الواضح لليهود.

العنصر الثاني الذي تسبب في تهميش اليهود، وفصلهم عن التشكيل القومي الالماني العضوي، هو هجرة يهود شرق أوروبا (Ost Juden) الكثيفة، في اعقاب تعثّر التحديث في شرق أوروبا. وجدير بالذكر ان الهجرة اليهودية الحديثة بدأت كهجرة داخلية في اوروبا، أي من بلد أوروبي الى آخر حتى العام ١٨٨٠؛ ولم تبدأ عبر الاطلنطي، بشكل مكثف، الا بعد ذلك التاريخ. وقد هاجر، في المرحلة الاولى بصفة خاصة، مئات من الالوف، وصلت اعداد كبيرة منهم الى انجلترا، وتسببوا في استصدار وعد بلفور لتحويل سيل الهجرة عنها؛ كما وصلت اعداد لا بأس بها الى المانيا.

ومما زاد الامور سوءاً، ان المانيا (في نهاية القرن الثامن عشر) قامت بضم بولندا التي كانت تضم يهوداً من المتحدثين باليديشية، مما كان يعني هجرتهم الى المدن الالمانية الكبرى. فانتقل معظم يهود بوزن الى المانيا؛ وكذا اعداد كبيرة من يهود جاليشيا. وظهور هذه الكتلة الضخمة من يهود الشرق ذوي الطابع الغيتوي المنغلق، والذين لم يكن عندهم التزام قوي بالمعايير الاخلاقية المحلية او القيم الغربية باعتبارهم غرباء، وممن لم يكن عندهم الكفاءات المطلوبة في التعامل مع اوروبا الحديثة والاقتصاد الجديد، هدد الموقع الطبقي والمكانة الاجتماعية لليهود. وقد شهدت العشرينات من هذا القرن ـ أي عشية استيلاء النازي على الحكم ـ هجرة يهودية ضخمة من بولندا، بسبب الازمة الاقتصادية. وقد اشرنا من قبل الى النسبة المرتفعة في الزيجات المختلطة بين يهود المانيا؛ ويمكن ان نضيف، هنا، اننا نعتقد بأن النسبة كانت عالية للغاية بين اليهود من اصل الماني؛ ولكن الاحصائيات لا تذكر سوى المتوسط العام، دون ان تفرق بين يهود شرق اوروبا المقيمين في المانيا واليهود من أصل الماني. الا انه يمكن القول انه، بينما كان يختفي يهود المانيا، كان يهود الشرق يحلّون محلهم؛ اي ان الطابع العام للاقلية اليهودية كان اخذاً في التغير، وفي اكتساب طابع غير الماني أساساً.

وقد تحولت المانيا، بعد الحرب العالمية الاولى، الى مركز للثقافة العبرية، نتيجة لهرب عديد من الكتاب اليهود من روسيا. وأُسست دار نشر عبرية. وقد اسست الحركة الصهيونية كثيراً من المدارس، لتعليم العبرية (وهو اتجاه ايده النازيون، فيما بعد، ودعموه، لأنهم كانوا يرون ضرورة عبرنة اليهود، باعتبارهم شعباً عضوياً مستقلاً عن الشعب العضوي الالماني. وكثير من الاتجاهات نحو العبرنة التي تبنتها الدولة الصهيونية سبقتها الدولة النازية اليها). وقد أدى ذلك الى ان العنصر اليهودي